كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

- **التعريف بالمؤلف:**

ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 هـ-276هـ)، أديب فقيه محدث مؤرّخ عربيّ من العصر العباسي له العديدُ من المؤلفات منها: عيون الأخبار، أدب الكاتب، الشعر والشعراء، وابن قتيبة ناقدٌ وعالم واسع المعرفة والاطلاع، لم يترك لونًا من ألوان الثقافة العربيّة إلّا تناول منه جانبًا وأحسَنَ فيه، واطلع على الثقافة الأجنبية التي عرفت في عصره المتمثلة بالثقافتين اليونانية والفارسية.

- **كتاب الشعر والشعراء:**

من أهم كتب تراث نقد الشعري الذي كتب في العصر العباسي؛ إذ يختص هذا الكتاب بالترجمة عن الشعراء المشهورين في الفترة الممتدّة ما بين العصر الجاهلي إلى العصر العباسي ويضاف إلى ذلك مقدمته النقدية المهمّة التي تحدث فيها ابن قتيبة عن قضايا نقدية متعددة، والناظر في كتاب الشعر والشعراء سيجد أنّه قائم على قسمين:

القسم الأول: مقدمة طويلة في الشعر والشعراء، وهي ذات قيمة أدبية ونقدية كبيرة، ذكر فيها أقسام الشعر، ولغته ومعانيه وألفاظه وعيوبه، موشحًا ذلك بآراء نقدية مهمة، وتحدث في نهاية المقدمة عن أوائل الشعراء، يقول فيها: "هذا كتاب الفقه في الشعراء، وأخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم..."

القسم الثاني: تراجم الشعراء، بدأها بترجمة 'امرئ القيس' وختمها بترجمة 'أشجع السلمي'، وعدد الشعراء الذين ترجم لهم مائتَيْن وستّة شعراء، ويمكن ملاحظة أنه لم يقتصر في كتابه على تراجم شعراء عصره فقط، إنّما ضمنه الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين أيضًا.

أهم القضايا النقدية في كتاب الشعر والشعراء:

تحدّث ابن قتيبة حول أبرز القضايا التي شاعت في عصرِه، منها لغة الشعر، وقضية اللفظ والمعنى، والطبع والصنعة، والقديم والحديث، والسرقات الشعريّة، وقد تميز نقده في عرضها بالموضوعية في الأحكام النقدية؛ حيث بيّن ابن قتيبة أنّ أحكامه النقدية في كتاب الشعر والشعراء إنما تعود إلى الشعر نفسه، بصرف النظر عن مبدعه، وما يتصل به من أحوال، حيث حدد مقياسًا نقديًّا هو الحُسن والجوْدة في الشعر، وبذلك يكون قد استبعد قضية الزمن الذي عاش فيه الشاعر، وطبقته الاجتماعية، وهذا جعل أحكامه موضوعية في النقد.

وأهم ما عرضه ابن قتيبة في كتابه هو حديثه عن بنية القصيدة العربية وأقسام الشعر؛ حيث لاحظ أنّ ثمّة نهجًا واحدًا اتبعه معظم الشعراء القدامى في تسلسل موضوعات القصيدة، وأشار إلى أنّه سمع ذلك من أهل الأدب، فالشاعر أو مقصد القصيد -كما قال ابن قتيبة - يبدأ القصيدة بذكر الديار والدمن والآثار، ويقصد بذلك الوقوف على الأطلال؛ ليذكر أهلها الراحلين عنها، ثم يصل ذلك بالنسيب أي الغزل ويشكو الشوق وألم الفراق ليستميل قلب السامع، ثم يذكر الرحلة وصعوباتها من حر الهجير، وتعب الرحلة، ثم ينهي قصيدته بالمديح للسامع حتى يحثه على مكافأته، ونيل العطايا منه.

- **أقسام الشعر:**

وهي من القضايا المهمّة التي تتطرق إليها ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، وهو يعبر عن رأي نقدي في موضوع يتعلق بجودة الشعر أو رداءته، حيث قسمه إلى أربعة أضرب بمرجعية اللفظ والمعنى، يقول في ذلك: "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب، أما هذه الأضرب فهي الصور المختلفة لائتلاف اللفظ مع المعنى"، وهي:

1- ضربٌ منه حسن لفظه وجاد معناه، مثل قول الفرزدق:

يغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَته فَما يُكلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

2- ضرب ما حسن لفظه دون معناه، مثل:

ولمّا قضينا من منى كلَّ حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسحُ

وشدّت على حدب المهارى رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطحُ

3- ضرب جاد معناه دون لفظه، مثل قول لبيد بن ربيعة:

ما عَاتَبَ المَرْءَ الْكَريمَ كَنَفْسِهِ والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

4- ضرب ساء لفظه ومعناه، كقول الفرزدق:

والشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبَاب كأَنَّه لَيْلٌ يَصِيحُ بجَانِبَيْهِ نَهَارُ

حيث حصر ابن قتيبة الشعر في عنصري اللفظ والمعنى، وهذا المنهج الذي اعتمده البلاغيون فيما بعد.

مراجع الدرس:

- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت.
- السعيد الورقي، في مصادر التراث العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.
- يوسف نور عوض، تطور الأساليب النقدية في الأدب العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط1، دت.